واعلم أن خلقا كثيرا سمعوا ذم الدنيا ولم يفهموا المذموم وظنوا أن
الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع من المطاعم والمشارب
فأعرضوا عما يصلحهم منها فتحيفوا فهلكوا وقد وضع الله عز وجل في
الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها فكلما تاقت تسعوها ظنا منهم
أن هذا هو المراد وجهلا بحقوق النفس وعلى هذا أكثر المتزهدين
واعلم أن الأرض خلقت مسكنا وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح
وقد جعلت المعادن فيها كالخزائن فيها ما يحتاج إليه والآدمي محتاج
إلى ذلك لصلاح بدنه الذي هو كالناقة للمسافر فمن تناول ما يصلحه
لم يذم ومن أخذ فوق الحاجة بكف الشره وقع الذم لفعله وأضيف
إلى الدنيا تجوزا وليس للشره وجه لأنه يخرج إلى الأذى ويشغل عن
طلب الآخرة فيفوت المقصود ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة ويبرد
لها الماء ويغير عليها ألوان الثياب وينسى أن الرفقة قد سارت فإنه يبقى
في البادية فريسة السباع هو وناقته ولا وجه للتقصير في تناول الحاجة
من الدنيا لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها قال
علي بن أبي طالب عليه السلام الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية
لمن فهم عنها ومطلب نجح لمن سالم فيها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى
ملائكته ومتجر أوليائه فيها اكتسبوا الرحمة وربحوا فيها العافية فمن

٢٨

(ذمها)
ذا ابذتها وقد آذنت ببينها ونعت نفسها وأهلها فذمها قوم غداة الندامة
وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا ووعظتهم فاتعظوا فيا أيها الذام للدنيا
المغتر بتغريرها متى استذمت إليك بل متى غرتك أبمنازل آبائك
في الثرى أم بمضاجع أمهاتك في البلى كم رأيت موروثا كم عللت بكفيك
عليلا كم مرضت بيديك مريضا تبتغي له الشفا وتستوصف له الأطبا
لم تنفعه بشفاعتك ولم تسعفه بطلبتك مثلت لك الدنيا غداة مصرعه
ومضجعه مضجعك ثم التفت إلى المقابر فقال يا أهل الغربة ويا أهل التربة
أما الدور فقد سكنت وأما الأموال فقد اقتسمت وأما الأزواج
به فقد نكحت فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم ثم التفت إلى أصحا
فقال أما لو أذن لهم لأخبروكم أن خير الزاد التقوى وإذ عرفت
المذموم من الدنيا فكن فيها بالقسط لا تأخذ فوق ما يصلحك ولا
تمنع نفسك حظها الذي يقيمها وتلمح سير العلماء العاملين إذ لم يقصروا
ين في حفظ النفس ولم يعطوها فوق الحق ولا تلتفت إلى جهلة المتزهد
الذين منعوا النفوس مصالحها فإنهم إلى الظلم أقرب منهم إلى العدل
وقد كان سفين الثوري يرفق بنفسه في المطعم وكان إبراهيم
ابن أدهم يقول إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا فقدنا صبرنا
صبر الرجال

الكلام على البسملة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)